بيان معنى

لا إله إلا الله

لسماحة الشيخ العلامة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

طبع بإشراف / مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

بيان معنى
لا إله إلا الله

لسماحة الشيخ العلامة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

طبع بإشراف

مؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

ح دار الآل والصحب للنشر والتوزيع، ١٤٤٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن باز ، عبدالعزيز بن عبدالله

بيان معنى لا إله إلّا الله./ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز-ط١.-

الرياض ، ١٤٣٥ هـ

٦٤ ص؛ ١٥ × ٢١ سم

ردمك: ٣-٢-٩٠٦٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٥/٨٦٨٤

رقم الإيداع : ٨٦٨٤ / ١٤٣٥

ردمك : ٣-٢-٩٠٦٠١-٦٠٣-٩٧٨

طبع بإشراف مؤسسة الشيخ
عبدالعزيز بن باز الخيرية

١٤٤٧هـ / ٢٠٢٥م

للتواصل:
٠٥٠٥٤٦٣٧١١

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان معنى

لا إله إلا الله

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان معنى كلمة : « لا إله إلَّا الله »[1]

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: أيُّها الإخوة في الله: لقد رأت اللجنة التي وكل إليها توزيع الندوات والمحاضرات في هذا البلد.

أن يكون عنوان الكلمة هذه الليلة :

بيان معنى لا إله إلَّا الله

فوافقت على ذلك لأن هذه الكلمة هي أصل الدين وأساس الملة، وهي التي فرَّق الله بِهَا بين الكافر والمسلم، وهي التي دعت إليها الرسل جميعًا، وأُنزلت من أجلها الكتب، وخلق من أجلها الثقلان الجن والإنس، دعا إليها آدم أبونا عليه الصَّلاة والسَّلام،

(١) من مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ المجلد الرابع من صفحة(٥-٢٦). وهي محاضرة ألقاها سماحته في مسجد الأمير محمد بن عبدالعزيز بالطائف- الحوية - مساء يوم الخميس ١٣/ ١/ ١٤٠٩هـ.

وسار عليها هو وذريته إلى عهد نوح، ثُمَّ وقع الشرك في قوم نوح، فأرسل الله إليهم نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعوهم إلى توحيد الله؛ ويقول لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهكذا هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم من الرسل كلهم دعوا أممهم إلى هذه الكلمة، إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك عبادة ما سواه، وآخرهم وخاتمهم وأفضلهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعثه الله إلى قومه بهذه الكلمة وقال لهم يا قوم: «**قُولُوا: لا إلهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**»(١).

وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده، وأن يدعوا ما عليه آباؤهم وأسلافهم من الشرك بالله وعبادة الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار وغير ذلك، فاستنكرها المشركون وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]. لأنهم قد اعتادوا عبادة الأصنام والأوثان والأولياء والأشجار وغير ذلك، والذبح لهم والنذر لهم وطلبهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب فاستنكروا هذه الكلمة؛ لأنها تبطل آلهتهم ومعبوداتهم من دون الله.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٥٩٣) من حَدِيثُ رَبِيعَةُ بْنِ عِبَاد الدَّيليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح السيرة النبوية» ص (١٤٢-١٤٣).

وقال سبحانه في سورة الصَّافات: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ٣٦﴾ [الصَّافات: ٣٥ - ٣٦]. سموا النَّبِي ﷺ شاعراً مجنوناً بجهلهم وضلالهم وعنادهم؛ وهم يعلمون أنه أصدق الناس؛ وأنه الأمين؛ وأنه أعقل الناس، وأنه ليس بشاعر، ولكنه الجهل والظلم والعدوان والمغالطة والتكذيب والتشبيه على الناس، فكل من لم يحقق هذه «**الكلمة**» ويعرف معناها ويعمل بِهَا فليس «**بمسلم**».

فالمسلم هو الذي يوحد الله ويخصه بالعبادة دون كل ما سواه، فيصلي له ويصوم له ويدعوه وحده ويستغيث به وينذر ويذبح له، إلى غير ذلك من أنواع العبادات، ويعلم يقيناً أن الله سبحانه هو المستحق للعبادة، وأن ما سواه لا يستحقها، سواء كان نبياً أو ملكاً أو وليًّا أو صنماً أو شجراً أو جنيًّا أو غير ذلك، كلهم لا يستحقون «**العبادة**»، بل هي «**حق لله وحده**»، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣]. يعني أمر وأوصى ألَّا تعبدوا إلَّا إيَّاه، وهذا هو معنى «**لا إله إلَّا الله**»، وهو أنه لا معبود «**حق إلَّا الله**»، فهي «**نفي، وإثبات**» نفي للإلهية عن غير الله وإثبات لها بحق لله وحده سبحانه وتعالى، فالإلهية التي يوصف

بِهَا غير الله باطلة وهي لله وحده بحق ثابتة له سبحانه وتعالى كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[الحج: ٦٢]. فالعبادة لله وحده دون كل ما سواه، وأمَّا صرف الكفار لها لغيره سبحانه فذلك باطل، ووضع لها في غير محلها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٢١].

وقال سبحانه في سورة الفاتحة وهي أعظم سورة : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]. أمر الله المؤمنين أن يقولوا هكذا: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، يعني نعبدك وحدك، وإيَّاك نستعين وحدك، وقال ﷻ : ﴿۞وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷻ : ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[غافر: ١٤]. وقال سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾[الزمر: ٢ – ٣]. إلى غير ذلك من آيات كثيرة كلها تدل على أنه سبحانه هو المستحق للعبادة

وأن المخلوقين لا حظ لهم فيها، وهذا هو معنى «**لا إله إلَّا الله**» وتفسيرها وحقيقتها أنها تخص العبادة بحق الله وحده وتنفيها بحق عما سواه.

ومعلوم أن عبادة غير الله موجودة، وقد عُبدت أصنام وأوثان من دون الله، وعُبد فرعون من دون الله وعُبدت الملائكة من دون الله، وعُبدت الرسل من دون الله، وعُبد الصالحون من دون الله كل ذلك قد وقع ولكنه «**باطل**»، وهو خلاف الحق والمعبود «**بالحق هو الله**» وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكلمة: لا إله إلَّا الله نفي وإثبات كما سبق، نفي للعبادة بحق عن غير الله كائنًا من كان، وإثبات العبادة لله وحده بالحق، كما قال - جل وعلا - عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وهذا قول الرسل جميعًا لأن قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ يعني به الرسل جميعًا، وهم الذين معه من أولهم إلى آخرهم ودعوتهم دعوته وكلمتهم هي «**البراءة من عبادة غير الله**» ومن المعبودين من دون الله الذين رضوا بالعبادة لهم ودعوا إليها، فالمؤمن يتبرأ منهم، وينكر عبادتهم، ويؤمن بالله وحده المعبود بالحق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال سبحانه في الآية السابقة عن إبراهيم أنه قال لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وهو الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي فطره وفطر غيره، فإنه لا يتبرأ من عبادته وإنما يتبرأ من عبادة غيره، فالبراءة تكون من عبادة غيره سبحانه، أمَّا هو الذي فطر العباد وخلقهم وأوجدهم من العدم وغذاهم بالنعم فهو المستحق للعبادة سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

فهذا هو مدلول هذه الكلمة ومعناها ومفهومها، وحقيقتها البراءة من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانها والإيمان بأن العبادة بحق لله وحده، وهذا معنى قوله - جل وعلا -: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ومعنى يكفر بالطاغوت: ينكر عبادة الطاغوت ويتبرأ منها.

والطاغوت: اسم لكل ما عُبد من دون الله فكل معبود من دون الله يسمى «**طاغوتًا**»، فالأصنام والأشجار والأحجار والكواكب المعبودة من دون الله كلها «**طواغيت**»، وهكذا **من عُبد وهو راضٍ كفرعون ونمرود وأشباههما يقال له طاغوت**، وهكذا الشياطين طواغيت لأنهم يدعون إلى الشرك، **وأما من عُبد من دون الله ولم يرض** بذلك كالأنبياء والصالحين والملائكة فهؤلاء ليسوا طواغيت، وإنما الطاغوت الشيطان الذي دعا إلى عبادتهم من جن وإنس.

أمَّا الرسل والأنبياء والصالحون والملائكة فهم براء من ذلك وليسوا طواغيت؛ لأنهم أنكروا عبادتهم وحذروا منها، وبينوا أن العبادة حق الله وحده، كما قال - جل وعلا -: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، يعني ينكر عبادة غير الله ويتبرأ منها ويجحدها ويبين أنها باطلة ﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، يعني: يؤمن بأن الله هو المعبود بالحق، وأنه هو المستحق للعبادة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلَّاق العليم رب كل شيء ومليكه، العالم بكل شيء **والقاهر فوق عباده**، وهو فوق العرش فوق السموات سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وعلمه في كل مكان وهو المستحق العبادة

- جل وعلا- ، فلا يتم الإيمان ولا يصح «إلّا بالبراءة» من عبادة غير الله وإنكارها واعتقاد بطلانِها، والإيمان بأن الله هو المستحق للعبادة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو معنى قوله سبحانه في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾[الحج:٦٢].

وفي سورة لقمان: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾[لقمان:٣٠]. وهو معنى الآيات السابقات، وهي قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١] ، وقوله - جل وعلا -: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [النساء:٣٦] . وقوله - جل وعلا -: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾[البينة:٥]. إلى غير ذلك من الآيات.

متى وقع الشرك ؟

كان الناس في عهد آدم وبعده إلى عشرة قرون كلهم على توحيد الله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ثُمَّ وقع الشرك في قوم نوح فعبدوا مع الله وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً كما ذكر الله ذلك في سورة نوح، فأرسل الله إليهم نوحاً -عليه الصَّلاة والسَّلام- يدعوهم إلى «**توحيد الله وينذرهم نقمة الله وعقابه**»، فاستمروا في طغيانهم وكفرهم وضلالهم ولم يؤمن به منهم إلَّا القليل، فأكثرهم ومعظمهم استكبروا عن ذلك كما بيَّن الله ذلك في كتابه العظيم، **فماذا فعل الله بهم**؟ فعل بِهم ما بينه لنا في كتابه العظيم من **إهلاكهم بالطوفان وهو الماء العام**؟ الذي ملأ الأرض وعلا فوق الجبال وأغرق الله به من كفر بالله وعصى رسوله نوح، ولم ينجُ إلَّا من كان مع نوح في السفينة كما قال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٥]، وهذا عقابهم العاجل في الدنيا، ولهم عقاب آخر في الآخرة وهو العذاب في النار يوم القيامة نسأل الله العافية.

ثُـمَّ جاءت «**عاد**» بعد ذلك، وأرسـل الله إليهم هودًا بعد نوح، فسـلكوا مسـلك من قبلهم مـن قوم نـوح في العنـاد والكفر بالله والضلال، **فأرسـل الله عليهم الريح العقيـم** فأُهْلِكُوا عن آخرهم ولم ينجُ منهم إلَّا من آمن بِهود وهم قليل.

ثُـمَّ جـاء بعدهـم **قـوم صالـح** وهـم ثُمَّود، فسـلكوا مسـلك مـن قبلهـم مـن الأمتيـن أمـة نـوح وأمـة هـود، فعصوا الرسـل واسـتكبروا عـن الحق **فأخذهـم الله بعقـاب الصيحـة والرجفة** حتـى هلكـوا عـن آخرهـم ولـم ينـجُ إلَّا من آمـن بنبيـه صالح - عليه الصَّلاة والسَّلام -.

ثُـمَّ جـاء بعدهم الأمـم الأخـرى: **أُمَّـة إبراهيم، وأُمَّـة لوط، وشعيب، وأُمَّة يعقوب، وإسحاق ويوسف.**

ثُمَّ جاء بعدهم **موسـى وهارون وداود وسـليمان** وغيرهم من الأنبياء كلهم دعوا الناس إلى توحيد الله كما أُمِروا.

قـال الله تعالـى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وكلهـم **أدوا ما عليهـم** من **«البلاغ والبيـان»** - عليهم الصلاة والسـلام - ، بلغوا الرسـالة وأدوا الأمانة ونصحـوا الأمة وبينوا لهـم معنـى هـذه الكلمـة: **«لا إلـه إلّا الله»**، وبينـوا أن الواجـب إخلاص العبادة لله وحده وأنه هو الذي يسـتحق العبادة دون كل ما سواه، وأن الأشـجار والأحجار والأصنام والكواكب والجن والإنـس وغيرهم مـن المخلوقات؛ كلهم لا يصلحـون للعبادة؛ لأن «**العبادة**» يجب أن تُصرف لله وحده.

وفرعون لما بغى وطغى وعاند موسـى وخرج لقتله، **ساقه الله - جل وعلا - للبحر وأغرقه ومن معه فيه في لحظة واحدة**، وهذا عذاب مُعجَّل وهو الغرق وبعده عذاب النار، نسأل الله العافية والسَّلامة.

ونبينـا محمد ﷺ **دعـا** الناس إلى عبادة الله، وبشَّـر بالجنة من آمـن وحذَّر بالنار من كفر، فآمـن من آمن وهم القليل في مكة، ثُمَّ بسـبب الأذى له ولأصحابه أمره الله بالهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها ومن آمن معه ممن اسـتطاع الهجـرة، فصارت «**المدينة دار الهجـرة**»، والعاصمة الأولى للمسـلمين، وانتشـر فيها دين الله، وقامـت فيهـا سـوق الجهاد بعد تعـب عظيم، وإيذاء شـديد من قريش وغيرهم لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه في مكة.

كل ذلك من أجل هذه الكلمة: « **لا إله إلَّا الله** »، الرسل تدعوا إليها ومحمد خاتمهم - عليه الصَّلاة والسَّلام- يدعو إلى ذلك، **يدعو إلى «الإيمان بِهَا، واعتقاد معناها، وتعطيل الآلهة التي عبدوها من دون الله وإنكارها وإخلاص العبادة لله وحده»**، والمشركون يأبون ذلك، ويقولون إنَّهم سائرون على طريقة أسلافهم، ويقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

فأمة العرب الذين بُعِثَ فِيهم النَّبِي ﷺ، سلكوا مسلك من قبلهم في العناد والكفر والضلال والتكذيب، ونبينا ﷺ طيلة ثلاثة عشر سنة في مكة، يدعوهم إلى توحيد الله، وإلى ترك الشرك بالله، فلم يؤمن به إلَّا القليل، وهذا بعد الهجرة إلى المدينة، استمروا في طغيانهم، وقاتلوه يوم بدر، ويوم أُحُد، ويوم الأحزاب «**عنادًا وكفرًا وضلالاً**»، وساعدهم من ساعدهم من كفار العرب، ولكن الله جلت قدرته «**أيَّد نبيه والمؤمنين وأعانهم**»، وجرى ما جرى يوم بدر من الهزيمة على أعداء الله، والنصر لأولياء الله، ثُمَّ جرى ما جرى يوم أُحُد من الامتحان الذي كتبه الله على عباده، وحصل ما حصل من الجراح والقتل على المسلمين بأسباب بيَّنها في كتابه العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثُمَّ جاءت وقعة الأحزاب بين الرسـول ﷺ وبين أهل الكفر، «**فأعز الله جنده ونصر عبده وأنزل بأسه بالكفار**»، فرجعوا خائبين لم ينالوا خيراً، ونصر الله المسلمين ضد أعدائهم، ثُمَّ جاءت بعد ذلك غزوة الحديبية عام سـتة من الهجرة، وحصل فيها ما حصل من الصلح بين الرسـول ﷺ وأهل مكة، والمهادنة عشـر سـنين حتـى يأمن النـاس، وحتى يتصل بعضهم ببعـض، وحتى يتأملوا دعوته ﷺ وما جاء به من الهدى.

ثُمَّ نقضت قريش العهد فغزاهم النَّبِي ﷺ عام ثمان من الهجرة في رمضـان، وفتح الله عليه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجـًا والحمد لله.

فهذا الدين العظيم وهو «**الإسـلام**» يحتاج مـن أهله إلى **صبر** ومصابـرة **وإخلاص لله ودعوة إليه** وإيمان **به وبرسـله**، **والوقوف** عنـد حدوده وترك لما **نهى** عنـه ﷻ، **هذا هو دين الله**، **الذي بعث به رُسله وأنزل به كُتبه**، وهو الدين الذي بعث به نبيه محمداً ﷺ، وهـو توحيـد الله «**والإخلاص لـه والإيمان برسـوله محمد** ﷺ، **والانقياد لشريعته قولاً وعملاً وعقيدة**».

وأصله وأساسه الشـهادة «**أن لا إله إلَّا الله**»، التي بعث الله بِهَا جميع الرسـل، «**فلا إسلام إلَّا بِهَا**» من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ، لا إسلام إلَّا بهذه الكلمة: «**لا إله إلَّا الله**» قولاً وعملاً وعقيدة، **فيقول المسـلم**: «**لا إله إلَّا الله**» بلسانه، ويصدقها بقلبه وأعماله، فيوحـد الله، ويخصـه بالعبـادة، ويتبرأ من عبادة ما سـواه، ولابد مع هذا «**من الشـهادة للنبي**» بالرسـالة ﷺ، لابد من الإيمان بالله وحـده وإخلاص العبـادة له، لابد من التصديق «**للرسـل**» الذين بعثـوا بذلك من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ، لابد مع الشـهادة بأنـه: «**لا إلـه إلَّا الله**» ، والإيمـان بالله، من تصديق نـوح – عليه الصَّلاة والسَّلام – ، «**فلا إسلام**» إلَّا بذلك.

وفي عهد هود كذلك «**لا إسلام**» إلَّا بتصديق هود – عليه الصَّلاة والسَّـلام – ، مع «**توحيـد الله والإخلاص لـه**»، والإيمان بمعنى لا إله إلَّا الله، وهكذا في عهد صالح «**لا إسلام**» إلَّا بذلك.

بتوحيد الله والإخلاص له، والإيمان «**بصالح**»، وأنه رسول الله حقـًا – عليه الصَّلاة والسَّلام – ، وهكذا من بعدهم كل نبي يبعث إلى أمته، لابد في الإسلام من «**توحيد الله والإيمان**» بذاك الرسول الذي بُعث إليهم وتصديقه، وآخرهم عيسى ابن مريم – عليه الصَّلاة والسَّلام –

هو آخر أنبياء بني إسرائيل وآخر الأنبياء قبل محمد ﷺ، فلا إسلام إلَّا لمن آمن به واتبع ما جاء به، ولما أنكرته اليهود وكذبوه صاروا كفاراً بذلك.

ثُمَّ بعث الله محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وآخرهم، وجعل «**الدخول في الإسلام لا يتم ولا يصح إلَّا بالإيمان به ﷺ**».

فلابد من توحيد الله والإيمان بهذه الكلمة، وهي: «**لا إله إلَّا الله**»، واعتقاد معناها، وأن معناها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتخصيصه بِهَا دون كل ما سواه، مع الإيمان برسوله محمد ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، هكذا علَّم الرسول أمته ﷺ، وهكذا دلَّ كتاب الله على ذلك، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة: ١٧٧]، لابد من الإيمان بالنَّبيين جميعًا وآخرهم محمد ﷺ، ولما سأل جبريل عليه السلام النَّبي ﷺ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلابـد مـع الإسـلام وشـهادة «**أن لا إلـه إلَّا الله وأن محمـداً رسـول الله**» من الإيمان بجميع «**الأنبياء والمرسـلين السابقين**»، والإيمـان بجميـع «**الملائكـة، والكتـب المنزلـة**» علـى الأنبياء والرسل - عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعـًا- ، ولابد من «**الإيمان بالقدر**» خيره وشره والإيمان باليوم الآخر، والبعث بعد الموت، والجنة والنار، وأن ذلك حق لابد منه، **ولكن أصل ذلك وأساسه «الإيمان بالله وحده»، وأنه هو المستحق العبادة.**

هذا هو الأصل، وهذا هو الأسـاس والبقيـة تابعة لذلك، فمن أراد الدخول في الإسلام والاستقامة عليه والفوز بالجنة والنجاة من النار، وأن يكون من أتباع محمد ﷺ الموعودين بالجنة والكرامة فإنه لا يتم له ذلك إلَّا بتحقيق شهادة أن «**لا إله إلَّا الله وأن محمداً رسول الله**».

تحقيق الشهادتين

وتحقيق **الأولى**: وهي «**لا إله إلَّا الله**»، بإفراد الله بالعبادة، وتخصيصه بِهَا، «**والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله**» من أمر الجنة والنار والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وأما تحقيق الثانية وهي : «شهادة أن محمداً رسول الله»، فبالإيمان به ﷺ، وأنه عبد الله ورسوله أرسله الله إلى الناس كافة إلى الجن والإنس، يدعوهم إلى «**توحيد الله والإيمان به**»، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ «**مع الإيمان بجميع الماضين من الرسل والأنبياء**»، ثُمَّ بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده، على يد رسوله محمد ﷺ، والأخذ بِهَا والاستمساك بِهَا من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك.

وكان ﷺ إذا سئل عن عمل يدخل به العبد الجنة وينجو به من النار قال له: «**تَشْهَدَ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»(١).

(١) انظر التخريج الآتي.

وربَّما قال له: « **تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** »[1] . فعبَّر له بالمعنى، فإن معنى شهادة «**أن لا إله إلَّا الله**»: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا.

ولهذا لما سأله جبرائيل عليه السلام في حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أخبرني عن الإسلام؟ قال: « **الْإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** »[2].

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال: « **الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** »[3]، فهذا يفسر هذا: فإن شهادة أن لا إله إلَّا الله معناها: إفراد الله بالعبادة، وهذا هو عبادة الله وعدم الإشراك به مع الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم.

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله « دلني على عمل أدخل به الجنة وأنجو من النار، قال: « **تَعْبُدَ اللهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** »، ثُمَّ قال: « **وَتُقِيمَ الصَّلاةَ...** »[4]. إلى آخره.

فعبادة الله وعدم الإشراك به هذا هو معنى لا إله إلَّا الله، قال الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم(١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

يعني: اعلم أنه «المستحق للعبادة»، وأنه لا عبادة لغيره، بل هو المستحق لها وحده، وأنه «الإله الحق»، الذي لا تنبغي العبادة لغيره عَزَّ وَجَلَّ.

وإنكار المشركين لها يبين معناها؛ لأنَّهم إنَّما أنكروها لما علموا أنها تبطل آلهتهم وتبين أنهم على ضلالة؛ ولهذا أنكروها فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥].

وقال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فعرفوا أنَّها تبطل آلهتهم وتبين زيفها، وأنها لا تصلح للعبادة، وأنها باطلة، «وأن الإله الحق هو الله وحده» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا أنكروها فعبادتُهم للأصنام أو الأشجار أو الأحجار، أو الأموات أو الجن أو غير ذلك عبادة باطلة.

فجميع المخلوقات ليس عندهم ضر ولا نفع، كلهم مملوكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عبيده -جل وعلا-؛ فلا يصلحون للعبادة. لأن الله سبحانه خالق كل شيء وهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال - جل وعلا - : ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨].

«**فالواجب**» على كل «**مُكلَّف**»، وعلى كل «**مؤمن ومؤمنة**» من الجن والإنس «**التبصر**» في هذا الأمر وأن يعتني به كثيراً، حَتَّى يكون جلياً عنده، واضحاً لديه. لأن أصل الدين وأساسه «**عبادة الله**» وحده، وهو معنى شهادة أن لا إله إلّا الله، أي: لا معبود بحق إلّا الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويضاف إلى ذلك «**الإيمان بالرسل**» وبخاتمهم «**محمد**» ﷺ، لابد من ذلك مع الإيمان بملائكة الله، وكتب الله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله.

كل ذلك لابد منه في «**تحقيق**» الدخول في «**الإسلام**» وكما سبق بيان ذلك. وكثير من الناس يظن أن قول: «**لا إله إلّا الله**»، أو أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله يكفيه ولو فعل ما فعل، وهذا من الجهل العظيم، فإنّها ليست «**كلمات تقال**»، بل كلمات لها معنى لابد من تحقيقه بأن يقولها ويعمل بمقتضاها.

قلها واعمل بمقتضاها

فإذا قال: «**لا إله إلَّا الله**»، وهو يحارب الله بالشرك وعبادة غيره فإنه لم يحقق هذه «**الكلمة**»، فقد قالها المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، وهم مع ذلك في الدرك الأسفل من النار وكما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء: ١٤٥]، لماذا؟

لأنَّهم قالوها باللسان وكفروا بِهَا بقلوبِهم، ولم يعتقدوها ولم يعملوا «**بِمقتضاها**» فلا ينفعهم قولها بمجرد اللسان.

وهكذا من قالها من اليهود والنصارى وعُبَّاد الأوثان، كلهم على هذا الطريق، لا تنفعهم حتى يؤمنوا بمعناها وحَتَّى يخصوا «**الله بالعبادة**»، وحتى «**ينقادوا لشرعه**».

وهكذا أتباع مسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار ابن أبي عبيد الثقفي الذين ادعوا النبوة وغيرهم ويقولون: لا إله إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله، لكن لَمَّا صَدَّقُوا من ادعى أنه نبي بعد محمد ﷺ كفروا، وصاروا «**مرتدين**». لأنَّهم كذبوا

قـول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحـزاب: ٤٠]. فهـو خاتمهم وآخرهم، ومـن ادعـى بعده أنه نبي أو رسـول صار «**كافراً ضـالاً**»، وهكذا من صدقه كأتباع مسيلمة في اليمامة والأسـود العنسـي في اليمن والمختار في العراق وغيرهم لما صدقوا هؤلاء «**الكذابين**» بأنَّهم أنبياء؛ كفر من صدقهم بذلك واستحقوا أن يُقاتَلوا.

فإذا كان من ادَّعى «**مقام النبوة يكون كافرًا**»؛ لأنه ادعَّى ما ليس لـه في هـذا المقام العظيـم، وكَذَبَ على الله فكيـف بالذي يدعي مقام الألوهية، وينصب نفسـه ليُعْبَدْ من دون الله؟ لا شك أن هذا أولى بالكفر والضلال.

فمـن يَعْبُـدْ غيـر الله، ويصرف له العبـادة، ويوالـي على ذلك ويعادي عليه فقد أتى «**أعظم الكفر والضلال**».

فمـن شـهد لمخلوق بالنبـوة بعد محمد ﷺ فهـو كافر ضال، فلا إسـلام ولا إيمان إلَّا بشـهادة: «**أن لا إلـه إلَّا الله قولاً وعملاً وعقيـدة**»، وأنه لا معبود بحق سـوى الله، ولابد مـن الإيمان بأن محمداً رسـول الله، مع تصديق الأنبياء الماضين «**والشهادة لهم**» بأنَّهم «**بلَّغوا الرسالة**» - عليهم الصَّلاة والسَّلام -.

ثُـمَّ **بعـد ذلك يقـوم** العبد بمـا أوجـب الله عليه مـن «**الأوامر والنواهـي**»، هـذا هـو «**الأصل**» لا يكـون العبد مسـلمـًا إلَّا بهذا «الأصل» بإفراد الله بالعبادة والإيمان بما دلت عليه هذه الكلمة: «**لا إلـه إلَّا الله**»، ولابد مع ذلك من الإيمان برسـول الله والأنبياء قبله، وتصديقهم واعتقاد أنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة - عليهم الصَّلاة والسَّلام - ، وكثير من الجهلة كما تقدم **يظن أنه متى قال: لا إله إلَّا الله وشـهد أن محمداً رسـول الله فإنه يعتبر مسـلمـًا ولو عبد الأنبياء أو الأصنام أو الأموات أو غير ذلك!!**

وهـذا من الجهل العظيم والفسـاد الكبير والضلال البعيد، بل لابـد من العمـل بمعناها والاسـتقامة عليه، وعـدم الإتيان بضد ذلـك قولاً وعملاً وعقيدة، ولهذا يقول - جل وعلا - في سـورة فُصِّلـتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١] الآية.

والمعنى أنَّهم قالوا: «**ربنا الله ثُمَّ استقاموا على ذلك**»، ووحّدوه وأطاعوه واتبعوا ما يرضيه، وتركوا معاصيه، فلما اسـتقاموا على

ذلك صارت الجنة لهم، وفازوا بالكرامة، وفي الآية الأخرى من سورة الأحقاف قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤].

فعليك يا عبد الله بالتبصر في هذا الأمر والتفقه فيه بغاية العناية، حتى تعلم أنه الأصل الأصيل والأساس العظيم لدين الله، فإنه لا إسلام ولا إيمان إلّا بشهادة «**أن لا إله إلّا الله**» قولاً وعملاً وعقيدة، والشهادة بأن محمداً رسول الله قولاً وعملاً وعقيدة، والإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عما كان وما سيكون، ثُمَّ بعد ذلك تأتي «**بأعمال الإسلام من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك**».

ولا ينبغي لعاقل أن يغترَّ بدعاة الباطل، ودعاة الشرك الذين دعوا غير الله، وأشركوا بالله غيره، وعبدوا المخلوقين من دون الله، وزعموا أنهم بذلك لا يكونون كفاراً؛ لأنَّهم قالوا: «**لا إله إلّا الله**»، قالوها بالألسنة، «**ونقضوها بأعمالهم وأقوالهم الكفرية**»، قالوها وأفسدوها بشركهم بالله، وعبادة غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلم تُعصَم دماءهم ولا أموالهم، ففي الصحيحين عن ابن عمر

- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عن النَّبي ﷺ أنه قال: « **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلامِ وَحِسَابُهُمْ عَلى اللّهِ** عَزَّ وَجَلَّ »[1]. هكذا بيَّن النَّبي ﷺ أنه لابد من هذه الأمور.

وفي حديث طارق بن أشيم الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنه قال: « **مَنْ قَال : لا إِلهَ إِلَّا اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرُمَ مَالُهُ ، وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلى اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ »[2].

وفي اللفظ الآخر: « **مَنْ وَحَّدَ اللهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ مَالهُ وَدَمَهُ** »[3] أخرجهما الإمام مسلم في صحيحه.

فأبان النَّبي ﷺ بهذين الحديثين وأمثالهما أنه لابد من «**توحيد الله والإخلاص له**»، ولابد من الكفر بعبادة غيره، وإنكار ذلك والبراءة منه، مع التلفظ «**بالشهادتين**» وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء بقية الحقوق الإسلامية.

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم(٢٢) من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣/ ٣٧) من حديث طارق بن أشيم الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣/ ٣٨).

وهذا هو الإسلام حقـًا، وضده الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

وهـذا «**الأصـل يجب التزامه والسـير عليه**»، وهـو أن توحد الله، وتخلـص لـه العبادة أينمـا كنت مـع أداء الحقوق التـي فرضها الله، وتـرك ما حرَّم الله عليك، وبهذا تكون مسـلمـًا، مسـتحقـًا لثواب الله ولكرامتـه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الدنيـا والآخـرة، ولذلك أنـزل الله قوله - جل وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

فبيَّن الحكمـة في خلقهم، وهي أن يعبدوا الله وحده، وأنهم لم يُخْلَقُوا عبثـًا ولا سُـدًى، بل خلقوا لهذا الأمر العظيم ليعبدوا الله - جل وعلا- ، ولا يشركوا به شيئـًا، «**ويخصوه بدعائهم وخوفهم ورجائهم وصلاتهم وصومهم، وذبحهم ونذرهم وغير ذلك**»(١).

وقـد بعـث بهـذا الأمر الرسـل، كمـا قـال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

(١) فأعظم الكرامة لكل إنسان مسلم هي لزومة الاستقامة على شرع الله جل جلاله حتى الممات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت: ٣٠]، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[هود: ١١٢].

نـواقضها

فكل من أتى بناقض من «**نواقض الإسـلام**» أبطل هذه الكلمة؛ لأن هذه الكلمة إنما تنفع أهلها إذا عملوا بِهَا «**واسـتقاموا عليها**»، فأفردوا الله بالعبادة وخصوه بِهَا، وتركوا عبادة ما سواه «**واستقاموا**» علـى ما دلت عليه من «**المعنى**»، فأطاعوا أوامر الله وتركوا نواهي الله، ولـم يأتوا «**بناقض ينقضها**». وبذلك يسـتحقون «**كرامة الله**»، والفوز بالسعادة والنجاة من النار.

أمَّـا من «**نقضها بقـول أو عمل**» فإنَّها لا تنفعـه ولو قالها ألف مرة في السـاعة الواحدة، فلو قال لا إله إلَّا الله وأشـهد أن محمداً رسـول الله وصلَّى وصـام وزكَّى وحج ولكنه يقول: أن مسـيلمة الكذاب -الذي خرج في عهد رسول الله ﷺ، ثُمَّ في عهد الصحابة وهو يَدَّعِي أنه رسـول الله- لو قال إنه صـادق... كفر، ولم ينفعه كل شيء.

أو قـال: إن المختار بن أبي عبيـد الثقفي الذي ادعى النبوة في العراق إنه نبي صادق وأن الذين قاتلوه أخطئوا في قتاله.

أو قال في حق الأسود العنسي الذي ادَّعى في اليمن أنه نبي، أو مـن بعدهم من الكذابين: إنَّهـم صادقون يكون «**كافراً**»، ولو قال لا إله إلَّا الله، وكررها آلاف المرات.

وهكـذا لو قالهـا وهو يعبد البـدوي أو يعبد الحسـين أو يعبد ابـن علوان أو العيدروس، أو يعبد النَّبِي محمداً ﷺ، أو يعبد ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو غيرهم، يدعوهم ويستغيث بهم، وينذر لهم، ويطلب منهم المدد والعون، لـم تنفعه هـذه الكلمة، وهـي «**لا إله إلا الله**» وصـار بذلك كافراً ضالاً، وناقضـًا لهذه الكلمة، مبطلاً لها.

وهكـذا لو قـال: لا إلـه إلَّا الله، وصلَّـى وصام ولكنه يسـب النَّبِـي ﷺ، أو ينتقصـه أو يهزأ بـه، أو يقول: إنه لم يبلِّغ الرسـالة كمـا ينبغـي، بـل قصَّـر في ذلـك، أو يعيبـه بشـيء مـن العيوب، صـار كافـرًا، وإن قـال: لا إلـه إلَّا الله آلاف المـرات، وإن صلَّى وصـام؛ لأن هذه النواقـض تبطل دين العبد، ولهـذا ذكر العلماء - رحمهم الله - في كتبهم بابًا سـموه: «باب حكم المرتد»، وهو الذي يكفر بعد إسـلامه، وذكروا فيه أنواعًا من نواقض الإسـلام منها ما ذكرنا آنفـًا.

وهكـذا لو قال: لا إله إلَّا الله، وجحـد وجوب الصلاة، فقال: إن الصلاة ليست واجبة، أو الصوم ليس واجبـًا، أو الزكاة ليست واجبة، أو الحج ليس واجبـًا مع الاستطاعة، «**كفر إجماعـًا**»، ولم ينفعـه قوله: لا إله إلَّا الله أو صلاتـه أو صومه، إذا جحد وجوب ذلـك، ولو صـام وصلَّـى وتَعَبَّد، **ولكنـه يقـول إن الزنى حلال**، أو غيـره ممـا أجمعـت الأمـة علـى تحريمـه، كفـر عنـد جميع المسلمين، ونقض دينه بهذا القول، وإن قال: لا إله إلَّا الله، وشهد أن محمداً رسـول الله وصلَّى وصام؛ **لأنـه** «**بتحليله الزنى**» **صار مُكذِّبـًا** لله الـذي حرمه بقولـه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وهكـذا لـو قـال: إن الخمـر أو الميسـر «حـلال»، كفـر ولو صلَّـى وصـام، ولو قال: لا إلـه إلَّا الله فإنـه يصير مشـركـًا كافرًا عنـد جميع المسـلمين لأنـه مُكـذِّب لله في قوله تعالى سـبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

لكـن إن كان مـن قال ذلك مثلـه يجهل الحكم لكونه نشـأ في بـلاد بعيدة عن المسـلمين، بُيِّن له حكم ذلك بالأدلة الشـرعية،

فـإذا أصر على حِـلِّ الزنـى أو الخمر ونحوهما مـن المحرمات «**المجمع عليها**»، كفر «**إجماعـًا**».

والمقصـود من هـذا أن يعلم أن الدخول في الإسـلام والنطق بهـذه الكلمـة: «**لا إلـه إلَّا الله**» والشـهادة بأن محمدًا رسـول الله لا يكفي في عصمة الدم والمال، إذا أتى قائلها بما **ينقضه**.

وهكـذا لـو أن إنسـانـًا صلَّى وصـام وتعبد وقال هـذه الكلمة آلاف المـرات في كل مجلـس، ثُـمَّ قال مع ذلـك: إن أمه حلاله، أن يجامعهـا، أو بنته أو أخته، **كفر عند جميع المسـلمين**، وصار مرتدًّا بذلك لكونه استحل ما حرَّم الله، بالنص والإجماع.

وهكـذا لو كذب نبيًّا من الأنبياء، وقال: إن محمدًا رسـول الله وأنـا مؤمن به وموحـد لله، وأقول لا إلـه إلَّا الله، ولكنِّي أقول إن عيسـى ابـن مريم كـذَّاب ليس برسـول لله، أو موسـى أو هارون أو داود أو سـليمان أو نوحـًا أو هـودًا أو صالحـًا أو غيرهم ممن نص القرآن على نبوته ليسـوا أنبياء، أو سبهم «**كفر إجماعـًا**» ولـم ينفعـه قـول: لا إله إلَّا الله ولا شـهادة أن محمدًا رسـول الله، ولا صلاتـه ولا صومه لأنـه أتى بما يكـذب به الله ورسـوله، وطعن في رسـل الله، وهكذا لو أتى بكل شـيء مما شـرعه الله، وعبد الله

وحـده وصلَّى وصام ولكنه يقول الزكاة ليسـت واجبة، من شـاء زكى ومن شـاء لم يزك **كفر إجماعـًا، وصار مـن المرتدين الذين يسـتحقون أن تراق دماؤهم**؛ لأنه قال: الـزكاة غير واجبة، ولأنه خالف قول الله تعالـى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣]. وخالـف النصوص من السُّـنَّة الدالة على أنَّها «**فرض**» من فروض الإسلام وركن من أركانه.

وهكذا لو «**ترك الصَّلاة**»، ولو قال: إنَّها «**واجبة**»، فإنه يكفر في أصـح قولي العلمـاء كُفرًا أكبر لقول النَّبي ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةَ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(١).

وقول النَّبي ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ، وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، تَرْكُ الصَّلاةِ**»(٢).

إلى غيـر ذلك من الآيـات والأحاديث الدالة علـى كفر تارك الصـلاة، ومـن أراد التفصيـل في هـذا الأمر فليراجـع باب حكم «**المرتد**»، ليعرف ما ذكر فيه العلماء من النواقض الكثيرة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٢٨)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

وبذلك يكـون المؤمن على بصيرة في هـذا الدين، ويعرف أن لا إلـه إلَّا الله هـي «**أصل الدين**»، وهي أسـاس الملة مع شـهادة أن محمـدًا رسـول الله، وأنه «**لا إسـلام ولا إيمـان**» «**ولا دين إلَّا بِهَاتين الشـهادتين**»، مـع الإيمان بكل ما جاء به رسـول الله ﷺ، والالتزام بذلك، مع الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ ومع الإيمان بفرائض الله، ومع الإيمان بمحارم الله، ومع الوقوف عند حدود الله.

وهذا أمر أوضحه العلماء، وبينوه في كتبهم، وهو محل إجماع ووفاق بين أهل العلم، **فينبغي لك يا عبد الله أن تكون على بصيرة، وألا تنخـدع بقـول الجاهلين والضالين مـن القبوريين وغيرهم**، مـن عُبَّادِ غيـر الله، الذين ضل سـعيهم في الحيـاة الدنيا، وجهلوا ديـن الله، حتَّى عبدوا مـع الله غيره، ويزعمون أنَّهم بذلك ليسـوا كافريـن لأنَّهم يقولون: «**لا إله إلَّا الله**»، وهم ينقضونَها بأعمالهم وأقوالهـم، وتعلم أيضـًا أن هاتين الشـهادتين اللتين هما «**أصل الدين وأساس الملة ينتقضان**» في حق من أتى بناقض من نواقض الإسلام.

فلـو أن هـذا الرجـل أو هذه المـرأة شـهدا أن لا إلـه إلَّا الله وأن محمـدًا رسـول الله، وصليـا وصامـا إلـى غيـر ذلـك مـن أعمـال، لكنهمـا يقـولان أن الجنـة ليسـت حقيقـة أو أن النـار ليسـت حقيقـة، فـلا جنـة ولا نـار، بـل كلـه كلام غيـر حقيقي، فإنَّهمـا «**يكفـران بذلك القول كفـرًا أكبر**»، بإجماع المسـلمين، ولـو صلَّى وصام مـن قال ذلك وزعم أنه مسـلم موحد لله وترك الشـرك ولكنه يقول: إن الجنة أو النار ليستا حقًّا، ليس هناك جنة ولا نار، أو قال: ليس هناك ميزان، أو ليس هناك قيامة، ما فيه يوم آخر، فإنه بذلك يصير «**مرتدًّا كافرًا ضالاً**» عند جميع المسلمين.

أو قال: إنَّ الله ما يعلم الغيب أو لا يعلم الأشياء على حقيقتها، فإنـه يكفر بذلـك لكونه بهـذا القول مكذبـًا لقول الله سـبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلـة: ٧]. وما جاء في معناها من الآيات، ولأنه قد تنقص ربه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وسبه بهذا القول، وبهذا تعلـم يا أخي أن شـهادة أن لا إله إلَّا الله وأن محمدًا رسـول الله: هي «**أصل الإيمان وهي أساس الملة**»، ولكنها «**لا تعصم قائلها**» إذا أتى «**بناقض**» من نواقض الإسـلام، بـل لابد من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيرة وشره.

ولابد مع ذلك من «**أداء فرائض الله**»، وترك محارم الله، فمن أتى بعد ذلك بناقض من نواقض الإسلام بطل في حقه قول: لا إله إلَّا الله، وصار مرتدًّا كافرًا، وإن أتى بمعصية من المعاصي التي دون الشرك «**نقص دينه**»، وضعف «**إيمانه**»، ولم يكفر كالذي يزني أو يشرب الخمر، وهو يؤمن بتحريمها؛ فإن دينه يكون ناقصًا، وإيمانه ضعيفًا، وهو على خطر إذا مات على ذلك من دخول النار والعذاب فيها، ولكنه لا يخلد فيها إذا كان قد مات موحدًا مسلمًا، بل له أمد ينتهي إليه حسب مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنه لا يكون آمنًا، بل هو على خطر من دخول النار؛ لأن إيمانه قد ضعف ونقص بهذه المعصية، التي مات عليها «**ولم يتب**»، من زنى أو سرقة أو غيرهما من الكبائر.

أقسام مخالفة أمر الله

فالمخالفة لأمر الله قسمان:

قسم يوجب «**الردة**»، ويبطل «**الإسلام بالكلية**»، ويكون صاحبه «**كافراً**» كالنواقض التي أوضحتها سابقًا.

والقسم الثاني: لا يبطل الإسلام ولكن «**ينقصه ويضعفه**»، ويكون صاحبه على «**خطر عظيم**» من غضب الله وعقابه إذا لم يتب، وهو جنس المعاصي التي يعرف مرتكبِهَا أنَّها معاصي، ولكن لا يستحلها، كالذي مات على الزنى، أو على الخمر، أو على عقوق الوالدين، أو على الربا ونحو ذلك، فهذا تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦]. لأنه ليس بكافر؛ لكونه لم يستحل هذه الأمور، وإِنَّما فعلها اتباعًا للهوى والشيطان، أما من استحل الزنى أو الخمر أو الربا فإنه يكفر كما تقدم بيان ذلك، فينبغي التنبه لهذه الأمور، والحذر منها، وأن يكون المسلم على بصيرة من أمره.

وهـذا الذي ذكرناه هو قول «**أهل السُّـنَّة والجماعة وأصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم وأتباعهم بإحسان**».

رزقني الله وجميع المسلمين الاسـتقامة على دينه، ومنَّ علينا جميعـًا بالفقه في الديـن، والثبات عليه، وأعاذنـا الله جميعـًا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا إنه سميع قريب.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

ثلاث أسئلة

السؤال الأول: هل يصح هذا القول؟[1]

سؤال في الولاء والبراء

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أمَّا بعد: فقد نشرت بعض الصحف المحلية تصريحاً لبعض الناس قال فيه ما نصه:

(**إننا لا نكن العداء لليهود واليهودية وإننا نحترم جميع الأديان السماوية**)، وذلك في معرض حديثه عن الوضع في الشرق الأوسط بعد العدوان اليهودي على العرب.

ولما كان هذا الكلام في شأن اليهود واليهودية يخالف صريح الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة، ويخالف العقيدة الإسلامية وهو تصريح يخشى أن يغتر به بعض الناس، رأيت التنبيه على ما جاء فيه من الخطأ نصحاً لله ولعباده.. فأقول:

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ إملاءات الشيخ.

قد دلَّ الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين على أنه يجب على المسلمين أن يعادوا «**الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين**»، وأن يَحْذَرُوا «**مودتهم واتخاذهم أولياء**»، كما أخبر الله سبحانه في كتابه المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أن اليهود والمشركين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[الممتحنة: ١] إلى قوله سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[المائدة:٥١]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[التوبة: ٢٣].

وقال ﷻ في شأن اليهود: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ

ﭐلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ
وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا
مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٠- ٨٢] الآية. وقال تعالى:
﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ
عَشِيرَتَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهي تدل دلالة صريحة على وجوب بغض الكفار من اليهود والنصارى وسائر المشركين وعلى وجوب معاداتهم حتى يؤمنوا بالله وحده، وتدل أيضا على تحريم مودتهم وموالاتهم وذلك يعني **بُغْضُهم** والحذر من مكائدهم وما ذاك إلا لكفرهم بالله وعدائهم لدينه ومعاداتهم لأوليائه وكيدهم للإسلام وأهله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ

وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[آل عمران: ١١٨ - ١٢٠]. ففي هذه الآيات الكريمات حث المؤمنين على «**بُغْضِ الكافرين**»، ومعاداتهم في الله سبحانه من وجوه كثيرة، والتحذير من اتخاذهم بطانة، والتصريح بأنهم لا يقصرون في إيصال الشر إلينا، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[آل عمران: ١١٨]. والخبال هو: «**الفساد والتخريب**». وصرح سبحانه أنهم يودون عنتنا، والعنت: «**المشقة**»، وأوضح سبحانه أن البغضاء قد بدت من أفواههم وذلك فيما ينطقون به من الكلام لمن تأمله وتعقله وما تخفي صدورهم أكبر من الحقد والبغضاء ونية السوء لنا أكبر مما يظهرونه، ثم ذكر سبحانه وتعالى أن هؤلاء الكفار قد يتظاهرون بالإسلام نفاقًا ليدركوا مقاصدهم الخبيثة وإذا خلوا إلى شياطينهم عضوا على المسلمين الأنامل من الغيظ، ثم ذكر ﷻ أن الحسنات التي تحصل لنا من العز والتمكين والنصر على الأعداء ونحو ذلك

تسوءهم وأن ما يحصل لنا من السوء «**كالهزيمة والأمراض**» ونحو ذلك يسرهم وما ذلك إلَّا لشدة «**عداوتهم وبغضهم لنا ولديننا**».

ومواقف اليهود من الإسلام ورسول الإسلام وأهل الإسلام كلها تشهد لما دلت عليه الآيات الكريمات من شدة عداوتهم للمسلمين، والواقع من «**اليهود في عصرنا هذا وفي عصر النبوة**» وفيما بينهما من أكبر الشواهد على ذلك، وهكذا ما وقع من النصارى وغيرهم من سائر الكفرة من الكيد للإسلام ومحاربة أهله، وبذل الجهود المتواصلة في التشكيك فيه والتنفير منه والتلبيس على متبعيه وإنفاق الأموال الضخمة على المبشرين بالنصرانية والدعاة إليها، كل ذلك يدل على ما دلت عليه الآيات الكريمات من وجوب بغض الكفار جميعا والحذر منهم ومن مكائدهم ومن اتخاذهم بطانة.

فالواجب على أهل الإسلام أن ينتبهوا لهذه الأمور العظيمة، وأن يعادوا ويبغضوا من أمرهم الله بمعاداته وبغضه من اليهود والنصارى وسائر المشركين؛ حتى يؤمنوا بالله وحده، ويلتزموا بدينه الذي بعث به نبيه محمدًا ﷺ. وبذلك يحققون إتباعهم ملة أبيهم إبراهيم ودين نبيهم محمد ﷺ الذي أوضحه الله في

الآيـة السـابقة، وهـي قولـه ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[الممتحنة: ٤]. وقولـه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[الزخرف: ٢٦- ٢٧]. وقولـه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٥٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وفي قوله تعالـى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[المائدة: ٨٢] دلالـة ظاهـرة على أن جميع الكفار كلهم أعداء للمؤمنين بالله سبحانه وبرسوله محمد صلـى الله عليه وسـلم، ولكن اليهود والمشـركين عبـاد الأوثان أشدهم عداوة للمؤمنين، وفي ذلك إغراء من الله سبحانه للمؤمنين على معاداة الكفار والمشـركين عمومـا وعلى تخصيص اليهود والمشركين بمزيد من العداوة في مقابل شدة عداوتهم لنا، وذلك يوجب «**مزيد الحذر من كيدهم وعداوتهم**». ثم إن الله سبحانه مع

أمره للمؤمنين بمعاداة الكافرين أوجب على المسلمين العدل في أعدائهم فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٨]. فأمر سبحانه المؤمنين أن يقوموا بالعدل مع جميع خصومهم، ونهاهم أن يحملهم بغض قوم على ترك العدل فيهم وأخبر ﷻ أن العدل مع العدو والصديق هو أقرب للتقوى.

والمعنى: أن العدل في جميع الناس من الأولياء والأعداء هو أقرب إلى اتقاء غضب الله وعذابه. وقال ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠].

وهذه الآية الكريمة من أجمع الآيات في الأمر بكل خير والنهي عن كل شر، ولهذا روي أن النبي ﷺ لما بعث عبد الله بن رواحة الأنصاري إلى خيبر ليخرص على اليهود ثمرةالنخل، وكان النبي ﷺ قد عاملهم على نخيلها وأرضها بنصف ثمرة النخل والزرع، فخرص عليهم عبد الله ثمرة النخل، فقالوا له إن هذا الخرص فيه ظلم، فقال لهم عبد الله رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده

إنكم لأبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، وإنه لن يحملني بغضي لكم وحبي لرسول الله ﷺ على أن أظلمكم» فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض. فالعدل واجب في حق القريب والبعيد والصديق والبغيض، ولكن ذلك لا يمنع من بغض أعداء الله ومعاداتهم ومحبة أولياء الله المؤمنين وموالاتهم، عملا بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنَّة، والله المستعان.

أمَّا قول الكاتب: «وإننا نحترم جميع الأديان السماوية» فهذا حق ولكن ينبغي أن يعلم القارئ أن الأديان السماوية قد دخلها من التحريف والتغيير ما لا يحصيه إلَّا الله سبحانه «**ما عدا دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه وخليله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله** ﷺ» فقد حمله الله وحفظه من التغيير والتبديل، وذلك بحفظه لكتابه العزيز وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصَّلاة والتسليم، حيث قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. فقد حفظ الله الدين وصانه من مكايد الأعداء بجهابذة نقاد أمناء، «**ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وكذب المفترين وتأويل الجاهلين، فلا يقدم أحد على تغيير أو تبديل إلَّا فضحه الله وأبطل كيده**».

أمَّا الأديان الأخرى فلم يضمن حفظها سبحانه، بل استحفظ عليها بعض عباده فلم يستطيعوا حفظها، فدخلها من التغيير والتحريف ما الله به عليم كما قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[المائدة: ٤٤]. وقال ﷻ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ٤١] الآية.

وقال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].الآيات في هذا المعنى كثيرة.

أمّا ما كان من الأديان السماوية السابقة سليم من التغيير والتبديل، فقد نسخه الله ببعث رسول الله ﷺ وإنزاله القرآن الكريم، فإن الله سبحانه أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة ونسخ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم مهيمنًا على سائر الكتب السماوية.

فالواجب على جميع أهل الأرض من الجن والإنس سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو غيرهم من سائر أجناس بني آدم، ومن سائر أجناس الجن أن يدخلوا في دين الله الذي بعث به خاتم الرسل إلى الناس عامة وأن يلتزموا به ويستقيموا عليه، لأنه هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٩- ٢٠]. وقال ﷻ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ

وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى في سورة المائدة بعد ما ذكر التوراة والإنجيل يخاطب نبيه محمداً ﷺ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨ - ٥٠]. ففي هذه الآيات الكريمات الدلالة الظاهرة والبرهان القاطع على وجوب

الحكم بين اليهود والنصارى وسائر الناس بما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ وعلى أنه لا إسلام لأحد ولا هداية إلّا باتباع ما جاء به، وأن ما يخالف ذلك فهو في حكم الجاهلية وأنه لا حكم أحسن من حكم الله، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]. ففي هذه الآية الكريمة الدليل القاطع والحجة الدامغة على عموم بعثة النبي ﷺ لليهود والنصارى وأنه بعث بالتخفيف عنهم، وأنه لا يحصل الفلاح لكل من كان في زمانه من الأمم وهكذا ما بعد ذلك إلى قيام الساعة إلّا «بالإيمان به ونصره وتعزيره واتباع النور الذي أنزل معه».

ثم قال سبحانه بعد ذلك تأكيداً للمقام وبياناً لعموم الرسالة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ومن هذه الآية وما قبلها من الآيات يتضح لكل عاقل «**أن الهداية والنجاة والسعادة**» إنما تحصل لمن «**آمن بمحمد ﷺ واتبع ما جاء به من الهدى**»، ومن حاد عن ذلك فهو في شقاق وضلال وبعد عن الهدى، بل هو الكافر حقًّا وله النار يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِن الأنبياءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ**

تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَموتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرناه دلالة ومقنع للقارئ على «**وجوب معاداة الكفرة من اليهود وغيرهم وبغضهم في الله وتحريم مودتهم واتخاذهم أولياء**»، وعلى نسخ جميع الشرائع السماوية ما عدا شريعة الإسلام التي بعث الله بها خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر النبيين والمرسلين، وَجَعَلْنَا من أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين إنه على كل شيء قدير، وليس معنى نسخ الشرائع السابقة أنها لا تحترم، أو أنه يجوز التنقص منها، ليس هذا المعنى هو المراد، وإنما المراد رفع ما قد يتوهمه بعض الناس أنه يسوغ اتباع شيء منها، أو أن من انتسب إليها من اليهود أو غيرهم يكون على هدى،

بل هي شرائع منسوخة لا يجوز اتباع شيء منها لو عُلِمَتْ على التحقيق وَسَلِمتْ من التغيير والتبديل، فكيف وقد جُهِلَ الكثيرُ منها، لما أدخل فيها من تحريف أعداء الله الذين يكتمون الحق وهم يعلمون. ويكذبون على الله وعلى دينه ما تقتضيه أهواؤهم ويكتبون الكتب من عندهم وبأيديهم ويقولون: إنها من عند الله، وبذلك يَعْلَمُ كل من له أدنى علم وبصيرة «**أن الواجب على جميع المكلفين من الجن والإنس أن يدخلوا في دين الله الذي هو الإسلام وأن يلتزموه**»، وأنه لا يسوغ لأحد الخروج عن ذلك لا إلى يهودية ولا إلى نصرانية ولا إلى غيرهما، بل المفروض على جميع المكلفين من حين بعث الله نبيه ورسوله محمدًا ﷺ إلى قيام الساعة هو «**الدخول في الإسلام والتمسك به**»، ومن اعتقد أنه يسوغ له الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كليم الرحمن عليه الصَّلاة والسَّلام «**فهو كافر بإجماع أهل العلم، يستتاب وتُبَيَّنُ له الأدلة فإن تاب وإلَّا قُتِل**»، عملاً بما تقدم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الثقلين والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونسأله ﷻ أن يثبتنا على دينه وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا، وأن يمن على

عباده بالدخول في دينه، والكفر بما خالفه، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى سائر النبيين والمرسلين وسائر الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

السؤال الثاني:(١)

س: أريد من سماحة الشيخ الإجابة على هذا السؤال، يقول: قال رسول الله ﷺ فيما رواه الشيخان: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَـذَا الْقَمَرَ ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ، والسؤال هو: لماذا قُرن في هذا الحديث بين رؤية الله - عز وجل - وبين صلاتي الفجر والعصر هل المحافظة على هذه الصلاة في هذين الوقتين سبب في رؤية الله - عز وجل -؟

ج : رؤية الله -سبحانه- في الجنة، ويوم القيامة، حق يراه المؤمنون، وهو أعلى نعيم أهل الجنة، إذا كشف الحجاب عن وجهه، ورأوه ما رأوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى وجهه

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن باز رحمه الله نور على الدَّرب (أهمية المحافظة على صلاة الفجر والعصر).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد أخبر ﷺ أنهم يرونه يوم القيامة عيانًا كما يرون الشمس صحوة ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامّون في رؤيته، هذا حق، عند أهل السُّنَّة والجماعة، ثم قال ﷺ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، يعني صلاة العصر وصلاة الفجر، ذكر أهل العلم أن السر في ذلك أن من حافظ عليهما يكون ممن ينظر إلى الله بكرة وعشيًّا في الجنة، يعني في مقدار البكرة والعشي، لأن الجنة ليس فيها ليل، كلها نهار مطرد، لكن بمقدار البكرة والعشي، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ٦٢]، يعني في مقدار البكرة والعشي في الدنيا، وهكذا في الرؤية في مقدار البكرة والعشي، يعني خواص أهل الجنة لهم الرؤية ما بين البكرة والعشي، يعني رؤية كثيرة بسبب أعمالهم الطيبة وإيمانهم الصادق، ومن أسباب ذلك محافظتهم على صلاة العصر وصلاة الصبح، لها خصوصية هاتان الصلاتان، والمحافظة عليهما من دلائل قوة الإيمان وكمال الإيمان مع بقية الصلوات، فالواجب أن يحافظ على الجميع ولكن يُخَصُّ العصر والفجر بمزيد عناية؛ لأنها ضد ما عليه المنافقون وضد ما عليه الكسالى.

تساهل كثير من الناس فضيلة الشيخ بهذين الوقتين وهما العصر والفجر، هل من نصيحة لهؤلاء جزاكم الله خيراً؟ الواجب على كل مؤمن ومؤمنة الحرص على المحافظة على الصلاة في وقتها، جميع الصلوات الخمس، وأن يَخُصَّ الفجر والعصر بمزيد عناية، الفجر في الحقيقة كثير من الناس يتكاسل عنها، وينام حتى طلوع الشمس وربما لا يقوم لها إلَّا إذا قام إلى عمله إن صلَّى، وهذه مصيبة عظيمة ومنكر عظيم، فالواجب أن يصلى في الوقت، وقد ذهب جمع من أهل العلم «**أنه إذا تعمد تركها حتى تطلع الشمس كفر**»، لقوله ﷺ: « **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاةِ** » ، وهذا قد تعمد فيها حتى خرج وقتها، وهكذا من تعمد ترك صلاة العصر حتى غابت الشمس «**يكفر عند جمع من أهل العلم**» لهذا الحديث الصحيح: « **بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاةِ** »، وقوله ﷺ: « **الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاةَ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ** » ، فالواجب على المؤمن وعلى المؤمنة العناية بالصلوات الخمس، والمحافظة عليها في أوقاتها، وأن يَخُصَّ الفجر بمزيد عناية، حتى يقوم لها ويصليها مع المسلمين في وقتها، وتصليها المرأة في وقتها، وهكذا العصر،

بعض الناس إذا جاء من عمله سقط نائمـًا وترك صلاة العصر، وهذا منكر عظيم والعياذ بالله، «**وكفر أكبر عند بعض أهل العلم**» إذا تعمد ذلك، فالواجب الحذر، وهكذا بعض الناس يسهر على القيل والقال أو اللعب ثم إذا انهكه التعب طاح نام عن صلاة الفجر، وهذا «**منكر عظيم**»، فالواجب عدم السهر، وأن يتحرى بنومه ما يعينه على القيام لصلاة الفجر، وأن يصليها في جماعة، ولا يجوز له التشبه بالمنافقين، أثقل الصلوات على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، وهكذا صلاة العصر، كل الصلوات ثقيلة عليهم، ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، فالواجب الحذر من مشابهتهم، والواجب المحافظة عليها في وقتها كلها الصلوات الخمس جميعا، يجب أن يحافظ عليها في أوقاتها مع إخوانه في المساجد، وأن يخص الفجر والعصر والعشاء بمزيد عناية، حتى يحذر من صفات المنافقين، نسأل الله للجميع العافية والهداية.

السؤال الثالث:

أفضل الكتب في مجال العقيدة (١)

س: ما هي الكتب التي ينصح بها سماحتكم أن تقرأ في مجال العقيدة؟

ج: أحسن كتاب، وأعظم كتاب، وأصدق كتاب يجب أن يقرأ في تعليم العقيدة والأحكام والأخلاق، هو **كتاب الله** عَزَّ وَجَلَّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وقد قال الله فيه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال أيضاً فيه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤]، وقال فيه سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وقال فيه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال فيه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

(١) كتاب «تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام» لسماحة الشيخ/ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (السؤال الثامن).

﴿ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقال فيه النبي ﷺ في الحديث الصحيح في خطبته في حجة الوداع: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا إنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللهِ**»، وقال ﷺ في خطبته يوم غدير خُمٍّ حين رجع من حجة الوداع إلى المدينة: «**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثِقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَتَمَسَّكُوا بِهِ**» فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» خرجهما مسلم في صحيحه، الأول من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والثاني من حديث زيد ابن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» خرجه البخاري في صحيحه.

وقال أيضًا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ**

اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ثم إن أحسن الكتب بعد القرآن الكريم كتب الحديث النبوية، وهي: كتب السُّنَّة **كالصحيحين، والسنن الأربع** وغيرها من كتب الحديث المعتمدة، فينبغي أن تُعْمَر المجالس والحلقات بتلاوة القرآن الكريم وتعليمه، وتفقيه الناس فيه، وبدراسة كتب الحديث الشريف، والعناية بها، وتفقيه الناس فيها، وأن يتولى ذلك أهل العلم والبصيرة، الموثوق بعلمهم ودرايتهم، ونصحهم واستقامتهم.

ومن الكتب المناسبة في ذلك قراءة كتاب: [**رياض الصالحين**]، و[**الترغيب والترهيب**]، و[**الوابل الصيب**]، و[**عمدة الحديث الشريف**] و[**بلوغ المرام**]، و[**منتقى الأخبار**] وغيرها من كتب الحديث المفيدة.

أما الكتب المؤلفة في العقيدة فمن أحسنها [**كتاب التوحيد**] للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ، وشرحه لحفيديه الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد، والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد، وهما: [**تيسير العزيز الحميد**]، و[**فتح المجيد**].

ومن ذلك: [**مجموعة التوحيد**] للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، و[**كتاب الإيمان**]، و[**قاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة**]، و[**العقيدة الواسطية**]، [**والتدمرية**]، و[**الحموية**]، وهذه الخمسة لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن ذلك: [**زاد المعاد في هدي خير العباد**]، و[**الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**]، و[**اجتماع الجيوش الإسلامية**]، و[**القصيدة النونية**]، و[**إغاثة اللهفان من مكايد الشيطان**]، وكل هذه الكتب الخمسة للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن ذلك: [**شرح الطحاوية**] لابن أبي العز، و[**منهاج السُّنَّة**] لشيخ الإسلام ابن تيمية، و[**اقتضاء الصراط المستقيم**] له أيضا، و[**كتاب التوحيد**] لابن خزيمة، و[**كتاب السُّنَّة**] لعبد الله بن الإمام أحمد، و[**الاعتصام**] للشاطبي، وغيرها من كتب أهل السنة المؤلفة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن أجمع ذلك [**فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**]، و[**الدرر السنية في الفتاوى النجدية**]، جمع العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فهرس المحتويات



دار الآل والصحب الوقفية

ردمك: ٣ - ٢ - ٩٠٦٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

مطبعة الحميضي ت: ٢١٤٠١٣٠ الرياض